EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

حضور المذكرات الشخصية في الإسطوغر افيا الجزائرية المعاصرة:

مذكرات حياة كفاح لأحمد توفيق المدني في الميزان.

The Presence of Personal Memories in Contemporary Algerian Historiography: Ahmed Tawfiq Al-Madani's Hayat Kifah Memoirs in the Balance.

د. عبد القادر خليفي قسم التاريخ جامعة المسيلة
Abdelkader.khelifi@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 10/ 3 / 2022 تاريخ النشر : 7/ 5 / 2022

الملخص:

يعد أحمد توفيق المدني 1899-1983م من بين القامات النضالية والفكرية الكبيرة التي لمعت في الجزائر خلال القرن العشرين، ذلك أن هذه الشخصية قد تعددت مجالات انخراطها في الكفاح الوطني، وفي ميدان الدفاع عن الهوية الحضارية للشعب الجزائري، حيث سجل حضورا لافتا على مدار عقود عديدة انتاجا فكريا ونشاطا سياسيا وجمعويا، فأظهر وعيا كبيرا وادراكا متميزا لواقع شعبه وتطلعات أمته، فكان أن ترك رصيدا يعد مرجعا للباحثين ومنهلا للمهتمين.

وبالرغم من كل تلك الإسهامات التي شملت مرحلتي الكولونيالية والدولة الوطنية، إلا أن إصداره في نهاية السبعينيات من القرن الماضي لمذكرات حياة كفاح باعتبارها وثيقة تعكس مشاهداته ورؤيته لأحداث عصره، قد خلفت سجالا محتدما، وتعرض بسببها لحملة انتقاد جارحة لاسيما من طرف بعض رفاقه من ذوي المشرب الواحد من العلماء، وهذه المسألة هي محور المعالجة في هذه الورقة لكشف حقيقتها وإبراز خلفياتها.

الكلمات المفتاحية:

أحمد توفيق المدني؛ حياة كفاح؛ تاريخ الجزائر؛ التحريف والتزييف؛ المذكرات الشخصية

.**Abstract**:

Ahmed Tawfiq Al-Madani (1899-1983) is considered one of the great intellectual and struggle symbols that shone in Algeria during the twentieth century, as this personality had many areas of involvement in the national struggle, and in the field of defending civilisation. the identity of the Algerian people, despite his various contributions that included the two stages of colonialism and the national state. However, his publication in the late seventies of the last century of the memoirs of Kifah's life as a document that reflects his observations and vision of the events of his time, provoked a heated debate and, because of this, he was subjected to a campaign of severe criticism, particularly from some of his colleagues.This study aims to reveal the historical value of these notes and to analyse the basis of the unprecedented critical campaign against their author, which was dominated by emotion and lacking in scientific method.

Keywords:*Ahmed Tawfiq Al-Madani; false statements and falsifications; life of struggle; personal memoirs;the history of Algeria.*

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

مقدمة:

تعد كتابة المذكرات وتدوين السير الذاتية للشخصيات السياسية والفكرية والعسكرية مسألة مهمة في عملية التأريخ لمسيرة أي شعب من الشعوب، وتزداد قيمتها وحيويتها وضرورتها لاسيما بالنسبة لأمم التي تعرضت لعملية استنزاف لكنوزها، وتدمير مادي لتراثها التاريخي، وسرقة لذاكرتها كما حصل مع الشعب الجزائري، ذلك أنها تمثل رافدا لتلمس واكتشاف الحقائق التاريخية الخاصة به، حيث تحتوي تلك المذكرات على مادة خام تساعد المؤرخ على مقاربة الوقائع كما حصلت، وتزوده باضاءات قد لا يعثر عليها في مظان الوثائق الرسمية ومكتنزات الأرشيف، وهي على هذه الأهمية ينبغي أيضا التعامل معها بمحاذير متعددة تتعلق بصلابة وصدقية ما يتم إيراده من أصحابها، ومعرفة مدى قربهم أو بعدهم عن المشاركة في صناعة الحدث التاريخي، وفهم المحركات والدوافع التي قادتهم إلى الكتابة، وحدود ابتعادهم عن النرجسية وتعظيم الحضور وتغليب الدور، وبالمقابل تقزيم أو إهمال أو تعمد الإساءة إلى الآخرين.

والحقيقة أن تجربة الجزائريين في هذا الفن، قد أخذت تشق طريقها بالتدريج في نهاية النصف الأول من القرن العشرين، لتعرف منحى تصاعديا خلال مرحلة الاستقلال وخصوصا بعد أحداث أكتوبر 1988م، حينما شهدت تدفق كم هائل من تلك الكتابات خلّفت أصداء متنوعة في التعاطي معها ومع مضامينها بين الترحيب وبين الانتقاد، بل أسهمت أحيانا في إشعال التراشقات وتبادل الاتهامات والتهديدات، وجرّت البعض إلى أروقة المحاكم خصوصا في ظل غياب تقاليد تحكم هذا النموذج من الأعمال، ولعل من بين تلك المذكرات التي صنعت النقاش الحاد، وتعرض صاحبها للانتقاد والتجريح، وشنت ضده حملة شعواء، كانت مذكرات حياة كفاح لأحمد توفيق المدني (1899-1983م)حيث عدّت الحملة التي رافقتها حين صدورها تجربة غير مسبوقة في الجزائر المستقلة، لذا ارتأينا أن نفردها بهذه الوقفة.

تعالج إشكالية هذه الورقة طبيعة وخلفيات الحملة التي أثارتها تلك المذكرات لدى المهتمين بالتاريخ الوطني المعاصر، ولاسيما من لدن بعض المنتسبين إلى جمعية العلماء على الخصوص، وتروم كشف قيمة تلك المذكرات في التأريخ للجزائر خلال القرن العشرين، ومن ثمة أفرزت جملة من التساؤلات على النحو الآتي: ما هي دوافع تلك الحملة؟ وفيم تجلت حيثياتها؟ وما هي الجهات التي تقف وراءها؟ وإلى أي مدى يمكن الحديث عن تجني المدني على الحقيقة التاريخية؟ وما هي مدافعات الرجل عن أطروحاته؟ وما القيمة المضافة التي قدمتها تلك المذكرات للدراسات التاريخية؟ كيف نظر المؤرخون والدارسون إلى ما جاء به المدني؟

أولا.المذكرات كصناعة تاريخية في الجزائر.

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

كتب المؤرخ أبي القاسم سعد الله يقول: " تعد كتابة المذكرات[1] عملا جديدا في الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر، وإنَّ الرجوع بالإنسان إلى الوراء ومراجعة أعماله، وعلاقاته بنفسه ورواية أخباره في صورة ذاتية تعتمد القص والتدخل الشخصي كان ذلك عملا جديدا وهو ظاهرة ثقافية حضارية أيضا تعتمد تقليد الكتّاب الغربيين الذين برعوا في هذا الميدان". (سعد الله، 1995، ص ص 308-309)

في الواقع، فإن إحدى أكبر العقبات التي جعلت حضور المذكرات محتشما في الجزائر تتعلق بعلاقة الجزائري مع الكتابة والتدوين، حيث أن الجزائريين عموما قليلو الكتابة إذا قيسوا بالشعوب الأخرى ، (سعد الله، 2007، ص 44) وإذا كانت العقود الأخيرة قد عرفت سيلا معتبرا للسير الذاتية والمذكرات، إلا أنها تظل محدودة بالنظر إلى ضخامة التجربة التاريخية الوطنية، التي تحتاج إلى تدفق هائل لهذا النوع من الكتابات، تفرضها الحاجة إلى غياب الوثائق أو التحفظ عليها وهي محل ترحيب بالرغم من المحاذير التي ترافقها، وفي هذا الباب كتب الباحث التونسي بشير التليلي (1935 – 1986م) في معرض تعليقه على مذكرات حياة كفاح يقول: "إنَّ فائدة وإسهام وأهمية مذكرات وذكريات الشخصيات السياسية المغاربية بالنسبة لدراسة الوثائق تهم جوانب معينة من التاريخ، ولو اتسمت بالحماس والهوى والتحزُّب والتوجيه والذاتية النابضة بالحياة، ولو شحنت بالتفاصيل والمشاعر،فإنها تمد وبتدقيق المؤرخ بأضواء وتأويلات وكشوف ومعطيات، ووثائق مبتكرة لم تنشر من قبل وعناصر هوية أخرى اعترافات وأبعاد أخرى ومعلومات غير التي تنقلها نصوص الأرشيفات". (التليلي، 1978، ص 104)

ثانيا.مذكرات حياة كفاح: المحتوى والمنهج.

في نهاية السبعينيات من القرن العشرين أصدر المدني مذكراته، التي تعتبر من المؤلفات الهامة في وقتها، وكان عنوانها حياة كفاح، وهذا المصطلح زيادة على رمزيته النضالية، فقد استعمله الرجل قبل الثورة التحريرية بمدة زمنية، حينما كان يشرف على تحرير ركن " منبر السياسة العالمية بجريدة البصائر"، (خليفي، 2013، ص 388) قدَّم خلالها المؤلف تعريفا بقصة حياته وتجاربه، باعتباره شاهد عصره، كتبها بأسلوب شيق وأفكار واضحة، وعبارات منسجمة، أعطى خلالها نظرة عن الأحداث والحقائق التي عاصرها، وتفاعل معها، وقد ضمّنها عددا معتبرا من الوثائق التي لاشك أنها تفيد الباحثين في التاريخ. (سعد الله، 1995، ص ص 456-457)

[1] -يذهب أحد الباحثين إلى أن كتابة المذكرات تعود إلى القرن الرابع الميلادي، حينما ألف القديس سانت أوغسطين كتابه الشهير اعترافات، وقد تطور وتبلور هذا الفن مع المفكر جون جاك روسو خلال عصر التنوير إبان القرن الثامن عشر الميلادي، ويعد كتابه الشهير اعترافات الذي أصبح منشورا عام 1788م كتاب سيرة ذاتية بالمعنى المتعارف عليه اليوم، وقد قال فيه جملته الذائعة الصيت:" أنا أفعل شيئا لم يفعله شخص قبلي، ولن يقدر شخص بعدي على تقليده ".ينظر: جودت هوشيار(2012)، المذكرات الشخصية وكتابة التأريخ، موقع: http:/www./ahewar.org/debat/show.art.asp?aid-325920، تاريخ الاطلاع 2021/06/16م.

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

لقد صدرت المذكرات في ثلاثة [2]أجزاء سنوات 1976م ، و1977م ، و1982م وهي تشكل خلاصة المسيرة النضالية للرجل على كافة المستويات، بحيث قدمت صورة حية عن نضال مثقف جزائري سياسيا وفكريا، وقد غادر صاحبها هذا العالم دون أن يتمكن من إتمام الجزء الرابع المتعلق بمرحلة الاستقلال، وهي فترة دقيقة شهدت خلالها الجزائر الكثير من التحولات والتجاذبات والصراعات، وبقدر ما في هذه المذكرات من حقائق وانتصارات وانكسارات، ففيها الكثير من نفس المدني المفكر والكاتب، والسياسي والمناضل. (بن قينة، 2000، ص ص 114-115)

عالج الجزء الأوَّل من هذه المذكرات الفترة الممتدة بين 1905-1925م، وهي المرحلة التي عاشها بتونس، وتمثل حيزا مهما من تاريخها المعاصر، فقد كان للرجل حضورا في المشهد السياسي بصفته من مؤسسي وقياديي الحزب الدستوري الحر، ومشاركا في الكثير من المبادرات والأنشطة الاجتماعية والسياسية حتى تاريخ إبعاده من البلاد في شهر جوان 1925م، ولذلك، فإنَّ مذكراته قد ألقت أضواءً على العديد من التساؤلات التي كانت تشغل المؤرخين التونسيين، لاسيما ما تعلق بنشاطات الدستوريين والإصلاحيين، وما جاءت به حول شخصيات العصر، على غرار الشيخ الثعالبي، ولذلك، اعتبر أحدهم أن مذكرات المدني لم تسهم فقط في الإجابة عن عدة علامات استفهام، بل شاركت أيضًا في سد فجوات في تاريخ تونس ما بعد الحرب العالمية الأولى، فهي سخية بالمعلومات، حيث تطلعنا على عدة مسائل إسلامية متوسطية، وعلى تأثيرها العميق على البلاد. (التليلي، 1978، ص 105)

أما الجزء الثاني، فيغطي مرحلة المد النهضوي والنضال السياسي ما بين سنوات 1925إلى 1954م، حيث عرض فيها صورة للواقع الجزائري اجتماعيا، وألقى أضواء على تبلور الفكر الإصلاحي ونشأة جمعية العلماء المسلمين، وما رافقها من احتدام للصراع بين العلماء وخصومهم من رجال الطرقية والمستعمرين، كما تتبع تطور نضال الحركة الوطنية مبرزًا أهم المبادرات التي طرحها الشعب الجزائري من خلال نخبه بمشاربها المتعددة في سياق كفاحه ضد الهيمنة الكولونيالية، هذا علاوة على رسمه صورة لمختلف الشخصيات التي احتك بها وتفاعل معها، وحفل هذا الجزء أيضا بعرض صورة لمشاهداته خلال رحلاته الداخلية عبر مناطق الجزائر الشاسعة، في حين أفرد الجزء الثالث لمرحلة الثورة التحريرية الكبرى 1954-1962م، حيث أبرز فيه مختلف الأنشطة السياسية والإعلامية والدعائية التي شارك فيها أثناء تأدية مهامه الثورية، مسجلا تفاصيل مهمة عن خلفيات بعض المواقف والصراعات بين قادة الثورة ومبرزا حقائق ذات قيمة عن جهة التحرير الوطني من الداخل.

---

[2]- نشر أحمد توفيق المدني مذكراته في ثلاثة أجزاء، وأشار إلى نيته في إصدار الجزء الرابع الذي خصصه لمرحلة الاستقلال، إلا أنَّ هذا الجزء غير موجود، وإذا كان المؤرخ أبي القاسم سعد الله قد أشار إلى أنَّ الجزء الرابع قد صدر ولكن الرقابة رفضت نشره) تاريخ الجزائر الثقافي، ج7 ، ص 457 (، فإنَّ نجل المدني " محمد إسلام " قد أكدَّ لي قطعيًا أنه لا وجود للجزء الرابع، وكل ما في الأمر أنَّ والده قد شرع فعلا في جمع المادة الوثائقية الخاصة به، لكنه انشغل بتحضير الردود على حملة الانتقادات، وخاصة ما ورد في كتاب "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح"، فجهّز كتابه"رد أديب على حملة الأكاذيب"، ومن ثمة لم يتمكن من إتمام مشروعه. ينظر: عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 389.

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

لقد أشار المدني إلى المنهج الذي اتبعه في تدوين هذه المذكرات، وإلى الغاية من تأليفها، حيث كتب في مقدمة الجزء الأول يقول: " لست خلال كتابتي هذه مفتشا عن جملة ناصعة، أو عبارة برّاقة أو تعبير أدبي ثري، بل إنما هي الفكرة أطلقها سليقيا، الذاكرة تمليها، والقلم يرسمها، ولا أكاد أتدخل بينهما إلا نادرًا، ثم أني من خلال هذه الصورة الواضحة أتكلم بحرية تامة، دون تحيز أو تعصب عن كلِّ ما مرَّ من حوادث، وعن كلِّ من عرفت من الرجال، وعن جميع ما لاحظته عن الدول والنظم ومختلف الأقوام". (المدني، 1988، ص 08)، وعن إبرازه لذاتيته في مجريات الأحداث، أضاف يقول في مقدمة الجزء الثالث:" فإن كنت خلال هذا الجزء من كتابي، أو خلال ما سبقه، وما سيتبعه بحول الله أستعمل عبارات : قلت، فعلت، رأيت، سمعت، فتلك هي العبارات التي يستعملها الشاهد وهو يدلي بشهادته ويقول : ما شهدنا إلا بما علمنا". (المدني، 1988، ص 13)

والحقيقة، أن المدني ووفقا للبحث المتواضع الذي خصصناه لبعض ملامح مسيرته الفكرية والسياسية على مستوى القطرين الشقيقين تونس والجزائر، قد أبان عن مؤهلات متنوعة، يأتي في طليعتها، ثقافته الواسعة وإجادته للغة الفرنسية، وامتلاكه موهبة الكتابة وتسلّحه بالوثائق والصور، حيث ساعدته المهمات والوظائف الصحفية والإدارية والحزبية والجمعوية والسياسية والدبلوماسية والفكرية التي تولاها، سواء أكان ذلك خلال مرحلة النضال الوطني أم خلال فترة الثورة التحريرية، وحتى على عهد الدولة الوطنية المستقلة من أن يكون في محيط دوائر القرار الإداري والسياسي، مما جعله على احتكاك مباشر بالوثائق ومن ثمة، فقد توفرت لديه أهم العناصر الضرورية التي تسمح له بمباشرة الكتابة، والأكيد أن قوة الذاكرة[3] لديه، وصفاء ذهنه وحيويته وهي الصفات التي أقرّ له بها جميع من احتك به، قد كان لها أثر واضح على ما تركه من مادة.

ثالثا-ردود الأفعال على صدور المذكرات:

في الواقع، فإن ردود الأفعال والمواقف، قد تباينت حيال هذه المذكرات، واعتبرت الأصداء التي رافقتها والنقاشات التي أعقبتها تحولا جديدا، إذ لم يسبق أن نالت مذكرات من الاهتمام والطرح على بساط المناقشة عبر الصحف الوطنية كما نالته هي، ومردّ ذلك عوامل مختلفة، لعلّ من بينها أن تلك المذكرات قد صدرت بالجزائر وباللغة العربية، وتناولت ضمن محتوياتها الحركة الإصلاحية التي لاشك أن منتسبيها كان لهم من الحضور الشيء الملموس، وقد اختلفت التعاليق ما بين الإشادة والانتقاد لطريقة تقديم المؤلف لشخصيته، وعرض دوره وكيفية تصويره لوقوع الأحداث، وتشكّل الرؤى والمواقف، ومن تلك المواقف التي رصدناها تعليقا على الجزء الأول من المذكرات، ما كتبه الباحث التونسي بشير التليلي، الذي رأى أن القسم الأول منها هو بلا نزاع إسهام نفيس جدا وفيه عبرة للمعتبر، ويسهم على كل حال في

[3]- لقد روى لي عدد من الشخصيات التي احتكت بالمدني من أنه كان حيويا ونشيطا وكان يردد دائما وهو في سن الثمانين عبارة:" إنني أعيش شبابي للمرة الرابعة "، ومن بين هؤلاء الدكتور أبو القاسم سعد الله، والدكتور عبد الكريم بوالصفصاف والأستاذ عبد الرحمن شيبان، والمجاهدة أنيسة بركات درّار.

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

إعادة النظر في معلوماتنا التاريخية وفي تصحيحها على أقل تقدير، وبالنسبة إليه، فإنَّ مطالعة ما قدَّمه المدني ممتعة جدا في القراءتين الأولى والثانية، وهي مشوّقة ومثيرة للاهتمام في المعنى النبيل للفظ، معتبرا أن ما حملته يعد مرجعا أساسيا للتاريخ الإسلامي المتوسطي المعاصر. (التليلي، 1978، ص 105)

وذهب الباحث عبد الكريم بوالصفصاف (1944-2017م) في سياق الإشادة إلى القول: " إنَّ المدني ومن خلال مذكراته حياة كفاح عمد إلى فتح حوار واسع بين تاريخ الجزائر وتاريخ تونس في ظل الاحتلال الفرنسي، مع إبراز كل الامتدادات المشتركة بين البلدين، ومن هنا يمكن القول أنَّ المؤرخ أحمد توفيق المدني ما يزال حتى الآن يتصدر المرتبة الأولى في الانفتاح على تاريخ الآخرين، بمده جسرًا وطيدًا بين نضال الشعبين الجزائري والتونسي إبَّان الحركة الوطنية المغاربية طوال النصف الأوَّل من القرن العشرين". (بوالصفصاف، 1998، ص 48)

والواقع، أن صدور الجزء الثاني من المذكرات، قد أسال الحبر الكثير، فهذا القسم الذي يمتد من منتصف العشرينيات إلى منتصف الخمسينيات، يتناول مرحلة حاسمة على كافة المستويات في مسيرة المقاومة الوطنية والتي قادت إلى تفجير الثورة، والمعروف أن المدني قد عرض نسخة هذا الجزء بتاريخ 07 ديسمبر 1977م بالمركز الوطني للدراسات التاريخية، مما أثار ردود أفعال مختلفة، وقد كتبت عن ذلك جريدة الشعب بتاريخ 24 جانفي 1978م ومما جاء في المقال: " يبدو أنَّ الجزء الثاني من مذكرات توفيق المدني أثار نقاشا وجدالا واسعا وسط الذين عاشوا أحداث النصف الأول من هذا القرن ولازالوا أحياءًا يرزقون، ومن الطبيعي أن يثير كل كتاب مناقشات باعتباره يتضمن رؤية شخصية لحدث معين، ليس من الضروري أن يتفق الجميع في تحليله بنفس الطريقة، ولكن أهمية كتاب توفيق المدني، تأتي من كونه يسلط الأضواء على جزء من تاريخنا القريب، ظل لحد الآن مجهولا في أدق تفاصيله، وأصبح مهددًا بالتلف...ولذلك، فإنَّ المناقشة التي تثيرها مثل هذه المذكرات، تعتبر في حد ذاتها إسهاما في مجهود إعادة كتابة تاريخنا". (الأسعد، 1978، ص 14)

غير أنَّ الخصومة اشتدت وتشعبت بعد ذلك، وفتحت لها الصحف الوطنية أعمدتها، حيث نشرت كل من جريدة النصر بقسنطينة، وجريدة الشعب بالعاصمة، وجريدة الجمهورية بوهران، تباعا مقالات في الرد على أحمد توفيق المدني خلال شهري فيفري ومارس 1978م بأقلام الأساتذة حمزة بوكوشة[4] ، ومحمد

[4]- حمزة بوكوشة (1907- 1994م) أصيل منطقة ودي سوف، تلقى تكوينا تقليديا بمسقط رأسه وبمدينة بسكرة، استكمل حفظ القرآن الكريم عام 1920م، سافر إلى تونس لمتابعة دراسته عام 1924م حيث عاد منها بشهادة التطويع عام 1930م اشتغل في ميدان التعليم بمدارس جمعية العلماء متنقلا بين عدة مدن منها بسكرة ودلس وقسنطينة، يعد شخصية إصلاحية وأحد رجالات الجمعية، عرف بالشجاعة في إبداء الرأي، له مساهمات أدبية وفكرية في عدة صحف جزائرية على غرار " المغرب العربي" و" الوفاق " و" البصائر" وجريدة " الوزير " التونسية، وخلال مرحلة الثورة التحريرية تعرض للاعتقال عام 1957م وبعد سنتين أطلق سراحه، واصل بعد الاستقلال أداء رسالته التربوية والتعليمية، واشتغل في وزارة الأوقاف وفي سلك القضاء، ترك بعض الأعمال الشعرية والنثرية. ينظر: حكيم سليماني، الشيخ حمزة بوكوشة وديوانه: خواطر من الصبا ، مجلة حوليات الآداب واللغات، المجلد 7، العدد 13، 2019، ص ص 183-184.

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

الطاهر فضلاء[5] ، ومحمد الصالح رمضان ،(المدني، مخطوط، ص 45) وكان من تلك الردود ما كتبه هذا الأخير وهو من تلامذة الجمعية، وأحد المعاصرين للأحداث في عدة حلقات بجريدتي الشعب والجمهورية تحت عنوان:" من غربل الناس نخلوه، نظرة عامة على كتاب حياة كفاح للأستاذ توفيق المدني، ومما جاء في أحد مقالاته: " لو كانت مذكراته شخصية لا تتناول رجالنا، وقضايانا القومية والوطنية كمذكرات مالك بن نبي مثلا لما انتقدناها، ولما حفلنا بها إلا بمقدار معين، ولكنها كما تتناول حياة صاحبها، تتناول حياتنا كذلك وبروح غريبة، فهي بقدر ما ترفع الأولى تضع الثانية، وبقدر ما تستهين بهذه أو تهينها، تشيد بتلك وتتباهى بها". (رمضان، 1978، ص 10)

ولعلَّ من المآخذ التي وُجهت إلى المدني هي ذاتيته في الطرح، وتصدره للوقائع وصناعة الحدث التاريخي، ففي تحليل بشير التليلي، فإنه مما قد يعاب على المدني، هو ذكره باستمرار نشاطاته أثناء مذكراته، معتقدا أنَّ ذلك يعد متطلبا من متطلبات فن المذكرات يبرره في الغالب الدور الذي يقوم به المناضل المسؤول ضمن تنظيم معين. (التليلي، 1978، ص 106)، ورأى الباحث عمر بن قينة (1944 – حي 2021م)، أنَّ صفة النرجسية مثل سمة المبالغة تعدان من خصائص التعبير لدى المدني في كتاباته وخطاباته، وحتى في حديثه لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وهي أمور تتعلق بالمكونات النفسية للشخصية، وتلك النزعة وغيرها من العيوب البشرية التي قد لا يسلم منها أي شخص،هي مما ألَّب عليه بعض معاصريه، خاصة ممن كانوا في جمعية العلماء، (بن قينة، 1995، ص ص 103-104)، ودون الذهاب بعيدا في انتقاد الرجل والإقرار له بصلابة التجربة أشار المؤرخ أبي القاسم سعد الله، إلى " أن المدني كان كثير التمجيد لنفسه ومواقفه وإبراز شخصيته أثناء وجوده في معترك الحياة مع جمعية العلماء ومع جبهة التحرير الوطني، وكانت حياته حقا نموذجا للرجل المكافح ". (سعد الله، 1998، ص 418)

وبالمقابل، فقد ارتفعت العديد من الأصوات مشيدة بما أسهم به، ومعترفة له بأهمية الدور الذي لعبه، حيث أثنت على إخلاصه ووطنيته، وشجاعته وإقدامه، ومن ذلك شهادة محمد الصالح الصديق الذي رد على المنتقدين قائلا: " ولا يمنع كل هذا من أن تحسب عليه هفوات، لا تكسف له شمسا، ولا تخسف له قمرا، يدفعه إليها اعتداده بالنفس وحب المفاخرة وهو أمر قلما يخلو منه إنسان على وجه الأرض" ،(الصديق، 2002، ص 330)وتعليقا على المذكرات بأجزائها الثلاثة خلص أحد الكتاب في موقف متحمس إلى اعتبارها أهم ما كتب من الكتابات التاريخية، وأن المؤرخ أو الدارس للتاريخ لابد له أن يمتلك

[5]- محمد الظاهر فضلاء 1918 – 2005م، أصيل بني وغليس ببجاية، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، انتقل عام 1935 إلى مدينة قسنطينة حيث تتلمذ على يد العلاّمة ابن باديس بالجامع الأخضر، اشتغل في حقل التعليم بمدارس جمعية العلماء، كما مارس المسرح وتلقى تكوينا في هذا الفن بمصر سنة 1954م، وأثناء الثورة التحريرية تعرض للاعتقال بين سنوات 1959-1961م، كان له حضور قلمي في العديد من الجرائد والمجلات بالجزائر وخارجها على غرار تونس ومصر، ترك إنتاجا معتبرا اهتم من خلاله بميدان النهضة والحركة الإصلاحية. ينظر: الأخضر رحموني(2021)،في ذكرى وفاة الأستاذ محمد الطاهر فضلاء ، موقع: https://www.elbassair.dz/14898، تاريخ الاطلاع 2022/01/20م.

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

هذا المؤلف الشهير، خاصة ذلك الذي يعنى بدراسة تاريخ شمال إفريقيا، وبالأخص تونس والجزائر. (بشير، 1998، ص 148).

رابعا.المدني بين الدفاع والهجوم:

في أعقاب الحملة العنيفة التي شنت على مضمون مذكراته، تصدى المدني الذي كان مطالبا من قبل جمهور المثقفين و المهتمين والرأي العام بالرد والتعليق على تلك الانتقادات وبيان وجه الحقيقة، حيث عرض موقفه عبر الصحف التي أشرنا إليها، وحاول الالتزام بالموضوعية في الرد على منتقديه، رغم ظروفه الصحية وانشغاله بمهمة في تركيا لاسترجاع وثائق الأرشيف العثماني. (المدني، 1978، ص 10)، وجاء في رد المدني على سلسلة المقالات التي نشرها مهاجموه قوله:" إنني أفتح صدري لكل مناقشة، وإنني مستعد لفحص كل الحقائق...على أنني خلال ردي هذا ألتزم بآداب المناظرة، وأبتعد عن استعمال العبارات النابية والألفاظ الجارحة" ، (المدني، 1978، ص 10) وهكذا تطورت الأمور وطالب البعض بتخصيص ندوة للمناقشة[6] والمناظرة، فكان أن عقدت بالمركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة يوم 16 أفريل 1978م بمناسبة يوم العلم.

وتعليقا على أجواء جلسة المناقشة التي استمرت إلى الساعة الثانية صباحا كتبت صحيفة " الجمهورية " في يوم 22 أفريل 1978م بعنوان: "مناقشة حادة حول كتاب حياة كفاح"، سلطت من خلالها الأضواء على أجواء إجراء النقاش حيث أورد مراسلها: (المدني، مخطوط، ص ص 91-92)"ابتدأت المناقشة في جو مشحون، وتعالت الصيحات على منبر الخطابة، واشتد الحماس بين شيوخ الجمعية، فانقسموا إلى قسمين: فريق يتهم أحمد توفيق المدني بالتطاول والتحامل على الشيخ عبد الحميد بن باديس وفي مقدمتهم الشيخ أحمد حماني، وشاطره الرأي كل من العباس بن الشيخ الحسين، ومحمد الطاهر فضلاء، أما الفريق الثاني، فكان أكثر نزاهة وموضوعية واعتدالا، وقاده الشيخ سليمان يوسف بن داود والدكتور رابح تركي عمامرة، والشيخ صالح بن عتيق، والأستاذ عبد الرحمان شيبان والشيخ محمد شارف المليانى، واختتم المراسل تعليقه بالقول: "ومن خلال نزاهة بعض الشيوخ ظهرت براءة المؤلف، الذي ظل صامدًا واثقا من نفسه كل الثقة، متمسكا بآرائه، ويستحق الشكر والتقدير لِما تحلى به من صبر وتقبل جل الانتقادات بصدر رحب".(المدني، مخطوط، ص 93).

والواقع أنَّ الأمر لم يتوقف عند هذا المستوى، بل تواصلت الحملة حيث تم جمع الردود المعارضة للمؤلف في كتاب صدر عام 1982م، حمل عنوانا لافتا وصادما وهو: التحريف والتزييف في كتاب حياة

[6]- وصف الأستاذ محمد الهادي الحسني 1947 – حي 2021م وهو أحد الحاضرين وقائع الجلسة بأنها كانت ساخنة للغاية، ابتدأت في حدود الساعة السابعة مساءً وانتهت بعد الساعة الثانية صباحا، وكان من بين المشاركين محمد الطاهر فضلاء، ورابح تركي عمامرة، والشيخ أحمد حماني، ومحمد الصالح رمضان، وسليمان يوسف بن داود وغيرهم، وإذا كان المنتقدون قد انفعلوا غاية الانفعال، وفقدوا هدوءهم، واحتكروا النقاش، وهاجموا الرجل، فإنَّ "المدني" ظل هادئا ومتزنا أدار نقاشه بحكمة وصبر، وهي مميزات المناضل الذي تربى في مدرسة سياسية بتونس، على عكس معارضيه الذين ظهرت عليهم العصبية والاندفاع. ينظر: عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 399.

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

كفاح، تضمنت مقدمة مؤلفه الآتي: " هذا كتاب في الرد على صاحب كتاب -حياة كفاح - بين أيدي القراء مُدعَّما بوثائقه وحقائقه، ليكون كما وعدنا مَاحِيًا للأوهام المُصِرّة على التحريف و التزييف حتى اليوم، ضمن إملاءات صاحبها ومحادثاته ومحاضراته".(فضلاء، 1982، ص 14)

والحق أنَّ مؤلف الكتاب ظهر منذ البداية متحاملا، وشنَّ حملة عنيفة على المدني وكتابه، حيث وصفه بأشنع الصفات ، فقد كتب يقول : " وكتاب –حياة كفاح– لا تخلو صفحة منه من الموبقات التالية: الإثم، العدوان، التجنّي، التزّيد، التقوّل، التعالي، التطاول، الغرور، تزكية النفس إدانة الأموات، الكشف عن العورات، إلخ... هذه القائمة عدًا". (فضلاء، 1982، ص 20):

من خلال القراءة التحليلية لطبيعة القضايا المناقشة، وقيمة الأدلة والشهادات التي أدرجها المؤلف، وأسلوب الكتابة لديه، اتضح لنا أنَّ محمد الطاهر فضلاء، قد استخدم أسلوب التشهير والتجريح والاحتقار والاستهزاء، ووظّف ألفاظا نابية، واستعمل عبارات لا تليق بقائلها، ولا بحق الذي قيلت فيه، ولم يلتزم بالموضوعية في تناوله للقضايا، فكثيرا ما كيَّف الشهادات ووجهها حسب إرادته[7]، بل تعمَّد حذف مقاطع من بعضها كما فعل مع مقدمة محمد الصالح رمضان التي أثنى فيها على توفيق المدني .(رمضان، مقابلة شخصية)، وأنَّ ما عرضه من وثائق قليلة يكتنفها الغموض، لا ترقى إلى الوثائق المُدينة للمدني ولم يكتف المؤلف بالتعليق على القضايا الخاصة بالجزائر، بل عاتب أدباء وكُتاب تونس عبر مراسلة وجهها إلى الحبيب اللمسي على سكوتهم، وتقاعسهم حسب رأيه على ما ورد في حياة كفاح وخصوصا الجزء الأول، من طمس للحقائق واستخفاف بأعلام التاريخ التونسي، ومن غمط لحقوق جيل الكفاح و النضال فيها، ونحن نتساءل:هل أنَّ فضلاء كان أكثر حرصا على التاريخ التونسي من التونسيين أنفسهم، وهل وصل قصورهم الفكري إلى درجة أن المُؤلف يوجه إليهم العتاب، وكلنا يعلم مدى نشاط الحركة الفكرية والثقافية بتونس؟

والحقيقة أنَّ ما أورده فضلاء لا يعكس موقفه الشخصي حسب رأي الكثير من المعاصرين ومن بينهم المؤرخ أبي القاسم سعد الله والمناضلة أنيسة[8] بركات درّار ، بل كان يمثل من خلاله واجهة لجهات وراء الستار، ويذكر الأستاذ محمد الهادي الحسني الذي سأل الشيخ أحمد توفيق المدني عن طبيعة الحملة ومن يقف وراءها، بأن جوابه كان بالحرف: "أولئك مخالب قط لا يريد أن يظهر"، لذلك فهو يعتقد أن المعاصرة لها حساسيات، ومن ذلك حساسية الشيخ محمد خير الدين اتجاه المدني. (خليفي،

---

[7]- ينظر تعليقات محمد الطاهر فضلاء على ردود حمزة بوكوشة بالصفحات: 281 ، 282 ، 284 ، 288 ، ومن 294 إلى 299 من كتاب التحريف و التزييف.

[8]- أنيسة بركات درّار من مواليد 1944م مجاهدة التحقت بصفوف جيش التحرير عام 1956م، واصلت مشوارها التعليمي بعد الاستقلال لتتوج بشهادة الدكتوراه في الآداب سنة 1973م، اشتغلت سنوات عديدة إلى جانب أحمد توفيق المدني بالمركز الوطني للدراسات التاريخية، صدر لها مؤلفات هامة: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر. ينظر: أنيسة بركات درّار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

2013، ص 403)، وهو ما أكده محمد الصالح رمضان أحد المشاركين في الكتاب المعارض التحريف والتزييف، حيث ذكر بأن فضلاء قد بالغ كثيرا، وكان متحاملا جدًا، وبالتالي أفسد الغاية من التأليف، موضحًا بأنه كان مدفوعا من قِبَل الشيخ خير الدين الذي كانت بينه وبين المدني حزازات سابقة تعود لمرحلة ما قبل الثورة، حين عارض دخول الأخير إلى الجمعية، ويعزى ذلك إلى تفوق المدني في الكتابة والخطابة، والثقافة المزدوجة، والعلاقات العامة الواسعة، مضيفا أنَّ الشيخ خير الدين، هو الذي تولى طبع الكتاب على نفقته، وقام بعملية الترويج له بنفسه، وذهب محمد الصالح رمضان بعيدا في كشف خبايا الحملة، حيث أكدَّ لي أنَّ الشيخ محمد خير الدين قد ألحّ عليه قائلا: " أنا وأنت الأقرب إلى توفيق المدني، وبلا شك سيؤثر عليه كلا منا أكثر من كلام محمد الطاهر فضلاء".(خليفي، 2013، ص 404).

ومع صدور كتاب "التحريف و التزييف" وتصاعد لهجة الانتقاد التي مست بشكل غير مسبوق شخصية الرجل، حيث تأثر كثيرًا بالموقف، وبذل مجهودات إضافية من أجل توثيق ردوده، مما جعله يتخلى عن كثير من المشاريع العلمية التي كان بصدد التحضير لإنجازها وفي طليعتها الجزء الرابع من حياة كفاح ، فكان أن جهَّز كتابًا موثقا انتهى من تأليفه في شهر أكتوبر 1982م كما أثبته في مقدمته، يعتبر خاتمة إنتاجه الفكري، جعل له عنوانا يعكس منهجه في الرد، حيث أطلق عليه رد أديب على حملة الأكاذيب ، تضمن 244 صفحة، زيادة على عدد من الوثائق أدرجها كملاحق، وقد رسم المؤلف على صفحة الغلاف "المخطوط" شعاره المعروف "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، وافتتحه بالآية الكريمة: " إِنَّ الذين جَآءُو بِالإفكِ عُصْبَة مِنْكُم، لا تحْسَبُوهُ شرًّا لكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لكُم، لِكِلِّ إمْرئ مِّنْهُم مّا ٱكتسَبَ مِنَ الإثْمِ وَالِذّي توَلّى كِبْرَهُ مِنهُمْ لهُ عَذَابُ عَظيمُ" صدق الله العظيم. (سورة النور ، الآية 11).

كتب أحمد توفيق المدني في المقدمة يقول: "بعون الله وتوفيقه أفي اليوم بوعدي للسادة الأجلة وللإخوة الصادقين الصالحين، وللأبناء البررة الميامين، وأقدم لهم ما يسَّر الله لي في هذه العجالة، من رد أديب على حملة سفه وأكاذيب كنت ضحيتها البريئة وما كنت والله أنتظرها...واستفزني الأحرار الأبرار من قومي، لرد الحملة الكاذبة الخاطئة بأقسى وأفظع منها، وأمدوني حفظهم الله بوثائق تكشف الستر عما خفي من فضائح وآثام".(المدني، مخطوط، ص ص 3-4)، ويضيف في ذات السياق: " وهكذا كانت ردودي عليهم جميعًا في صحفنا الوطنية الكريمة... لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فإنَّ الجماعة الذين لم يتأدبوا بآداب القرآن، وإن كان بعضهم ممن يحملون عمائم العلماء سابقا، قد ظنوا أنَّ تلك الطريقة اللطيفة التي أجبت بها المهاجمين، إنما هي علامة ضعف واستكانة...فجمعوا أمرهم على إصدار كتاب لا يكتفي بإعادة نفس الحملة الأولى وما فيها من قول بذئ، وتهجم مقذع، بل زادوا عليها إفكا وزورا وعدوانا شنيعا...فأصدروا كتاب التحريف والتزييف، فقلبوا فيه حقائق ناصعة يعرفها كل الناس، واخترعوا أشياء لا وجود لها، ثم حملوا عليَّ من أجلها حملة منكرة".(المدني، مخطوط، ص ص 4-5).

والحق أنَّ رد الشيخ المدني جاء بأسلوب لطيف بعيد عن التجريح حيث قال:" رأيت وجوب إصدار كتاب يعارض ويحطم تحريف وتزييف ذلك الكتاب، إنما يكون بغير لهجته إذ هو رد أديب لا شتم فيه ولا

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

سب، وبغير طريقته إذ لا كذب فيه ولا تدليس إبليس، بل حقائق ناصعة وحجج ساطعة".(المدني، مخطوط، ص 6)، وحسب الشهادات التي جمعناها، فقد قدَّم المؤلف الكتاب الجديد إلى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع قصد نشره وذلك في أواخر عام 1982م، ويقول محمد الهادي الحسني المكلف آنذاك بقراءة ما يعرض للنشر بالشركة، أنَّ المدني، قد عاد بعد مدة قصيرة وسحب الكتاب قبل إتمام القراءة والاتفاق على الشكل النهائي للنشر، وذلك بطريقة مفاجئة لدرجة أنَّه لم يتمكن حتى من تصوير نسخة منه، معتقدا أنَّ جهات عليا قد طلبت أو ضغطت على الشيخ لسحب الكتاب ، (خليفي، 2013، ص ص 406-407) وفي إفادة المؤرخ سعد الله، فإن المعطيات التي جمعها بشأن خلفيات عدم صدور الكتاب، تشير إلى أنَّ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، قد اطلع على محتوى الكتاب في شكله المخطوط مما قاده إلى اقتراح إجراء تعديلات، أو حذف بعض الأشياء، وهي المسألة التي رفضها المؤلف، الذي تمسَّك بموقفه، فلم يشأ أن يُعدِّل في آرائه، لذلك توقفت الشركة عن طبعه وأعيد إلى صاحبه، وهذا الموقف تأزَّم له المدني كثيرًا، إذ اعتبره مؤازرة ومساندة لحملة مهاجميه، ويضيف بأنه قد طرح سؤالا على الشيخ توفيق المدني قائلا: لماذا تتأذى من عدم نشر الكتاب؟ فكان الجواب بالحرف : " لو كنت قَد مِتُ وانتقدوني، فليس هناك مجال للرد فالأجيال لا تلومني، لكن وأنا على قيد الحياة ولا يصدر مني أي موقف فهذا أمر غير معقول، ولا بد أن يحكم عليَّ التاريخ والأجيال(خليفي، 2013، ص 407)

والظاهر أنَّ المدني كان يريد أن يتعرف الناس على موقفه، وأن يزيل الضبابية التي صاحبت نشر الكتاب المعارض له، وهو ما أشار إليه بالقول: " فأنا سأتناول في كتابي هذا - وقد أردته مختصرا و بسيطا - كل الترَّهات التي تناولها كتابهم... فليس مقصدي هو الثأر ممن أساء إليَّ عمدًا وعن سوء قصد...بل مقصدي هو تقديم هذه الحجج والبراهين القاطعة لأبنائي وإخوتي وأصدقائي...كي تطمئن قلوبهم"، (المدني، مخطوط، ص 6 (، وختم مؤلفه بالقول: "إنني ما حررت هذا الكتاب تزكية لنفسي...وإنما تعمَّدت كتابته وأنا كاره دفاعا عن جهاد قمت به في سبيل الله لا أرجو به إلا وجه الله".(المدني، مخطوط، ص 243).

والواقع أن مطالعتنا لكتاب رد أديب على حملة الأكاذيب، قد جعلتنا نقف على الجهد الكبير الذي بذله المدني في سبيل تدعيم ما ذهب إليه من قبل في مذكراته، من خلال تطعيمه بالكثير من الوثائق والشهادات التي تثني على نزاهته، وتقر له بالحضور الفعال في المشهد النضالي الوطني، وفي ميدان المنافحة عن التاريخ والهوية الحضارية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، ونشير في نهاية هذه الوقفة إلى أننا وبكل تواضع قد كنا أول باحث تحصل على هذا المخطوط بعد رحلة مضنية للبحث عن عائلة المدني بالعاصمة الجزائر، والتي توجت بلقاء نجله محمد إسلام المدني في شهر جويلية 2006م، الذي أخبرنا حينها بنبرة كلها تأثر بأن لا أحد اتصل به منذ رحيل والده عام 1983م، وأن طمسا وتهميشا متعمدان قد طاولا مسيرة كاتب القطرين.

خاتمة:

EISSN : 2661-7080 _ ISSN2773-2630

لقد أسهمت مذكرات حياة كفاح في بعث وإنعاش النقاش بين المتخصصين في البحث في تاريخ الجزائر المعاصر، حيث مثلت تلك التجربة ظاهرة جديدة في البلاد، فكانت عاملا مشجعا على انخراط العديد من الشخصيات الفكرية والسياسية ومن المناضلين خلال الثورة التحريرية في هذا المسعى، الأمر الذي أدى إلى تدفق سيل من المذكرات تتفاوت أهميتها وقيمتها ومكانة مؤلفيها ودورهم في صناعة الحدث التاريخي.

وإذا كان الموقف الحماسي المناهض لمحتوى ما جاء به المدني والصادر عن بعضا من رفاقه قد يبدو مفهوما في سياق التموقع ونزعة التحطيم وحساسيات المعاصرة، فإن الشيء المثير للتساؤل هو انسياق العديد من الأكاديميين جهلا ودون تبصر على رمي الرجل بسهام اللمز والغمز في غياب أدلة علمية تدحض ما ذهب إليه، الأمر الذي سيبقي تلك المذكرات مرجعا مهما للباحثين في مجال التاريخ الجزائري المعاصر لاسيما ما تعلق بنضال الحركة الوطنية فيما بين الحربين وأحداث ثورة أول نوفمبر 1954م.

الاحالات والمراجع:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي،(بيروت:ج7، 1995)
- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، (الجزائر:ج1، 2007)
- عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899 – 1983م، دار المحابر للنشر والتوزيع، (الجزائر: 2013)
- عمر بن قينة، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دمشق: 2000)
- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر:ج1، 1988)
- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر:ج3، 1988)
- عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر:1995)
- محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، (الجزائر: 2002)
- محمد الطاهر فضلاء، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، دار البعث للطباعة والنشر، (قسنطينة: 1982)
- أنيسة بركات درّار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر: 1985)
- بشير التليلي،حول مذكرات حياة كفاح،مجلة الأصالة، العدد 54 –55، 1978.
- حكيم سليماني، الشيخ حمزة بوكوشة وديوانه: خواطر من الصبا، مجلة حوليات الآداب واللغات، المجلد 7، العدد 13، 2019.
- محمد الصالح رمضان،من غربل الناس نخلوه، نظرة عامة على كتاب حياة كفاح للأستاذ توفيق المدني، جريدة الجمهورية، 13 مارس 1978 ،
- مدني بشير، أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية، المدرسة التاريخية الجزائرية، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، (الجزائر: 1998)
- أحمد توفيق المدني ، جوابي على نظرة الأستاذ محمد الصالح رمضان لكتابي حياة كفاح، جريدة الجمهورية ، الجزائر: 28 مارس 1978م
- أحمد توفيق المدني، (2014)، رد أديب على حملة الأكاذيب، مخطوط، موقع:
/رد- أديب -على -حملة -الأكاذيب **https://www.elmadani.org/ar/category**،تاريخ الاطلاع 2018/10/14م.
- الأخضر رحموني (2021)، في ذكرى وفاة الأستاذ محمد الطاهر فضلاء ، موقع: **https://www.elbassair.dz/14898** ، تاريخ الاطلاع 2022/01/20م.
- جودت هوشيار(2012)، المذكرات الشخصية وكتابة التأريخ، موقع:
http:/www./ahewar.org/debat/show.art.asp?aid-325920، تاريخ الاطلاع 2021/06/16م.